مقتطف

تنشر «العربي الجديد»، على حلقات اسبوعية، ترجمة الشاعر والروائي والناقد الفلسطيني محمد الاسعد لكتاب «مدن غير مرئية» لإيتالو كالفينو. يعدّ العمل من آخر ما ترجمه الاسعد، قبل رحيله المفاجئ في ايلول/ سبتمبر الماضي

إيتالو كالفينو

مدن غير مرئية [5]

فلاسفةٌ جالسون على مرجٍ أخضر

لاحظ قبلاي خان أن مدنَ ماركو بولو شابهت إحداها الأخرى، كما لو أن المسار من واحدة إلى أخرى لا ينطوي على رحلة بل تغيير عناصر. عندئذٍ، من كل مدينة وصفها ماركو له، انطلق عقل الخان الأكبر على سجيّته، وأعاد، بعد تفكيك المدينة قطعةً قطعة، إنشاءها بطرق أخرى، مستبدلاً مكوّناتها، ناقلها، قالباً لها.

خلال ذلك واصل ماركو الإبلاغ عن رحلته، إلّا أن الإمبراطور لم يعد يصغي. قاطعه قبلاي: «من الآن فصاعداً سأصف المدن، وستقول لي أنت إنْ كان لها وجودٌ وهل هي كما تصوّرتها. سابدأ بأن أسألك عن مدينة ذات سلالم، معرّضة لريح شرقية، على خليج هلالي الشكل. وسأعدّد الآن بعض العجائب التي تحتويها: صهريجُ زجاجي بعلوّ كاتدرائية، بحيث يستطيع الناس مراقبة سباحة وطيران السمك الخطّاف فيه واستخلاص نبوءات منه؛ نخلة تعزف بسعفها في الريح كما القيثارة؛ ساحة على مدارها مائدةٌ مرمرية على شكل حدوة حصان؛ مغرَفٌ مائدة مرمريّ، عامر باطعمة واشربة من مرمر أيضاً».

«مولاي، إن عقلك لجوّال، هذه بالتحديد هي المدينة التي كنت أحكي لك عنها حين قاطعتَني».

«اتعرفها؟ أين هي؟ ما اسمها؟».

«لا اسم لها ولا مكان. وسأكرّر سبب أنّني كنت اصفها لك ولماذا: من بين عدد المدن التي يمكن تخيُّلها، يجب أن نُقصي تلك التي تتجمّع عناصرها من دون خيط رابط، قاعدة داخلية، منظور، موضوع للحديث. الأمر مع المدن هو ذاته مع الأحلام: يمكن الحلمُ بكلّ شيء قابل للتخيّل، ولكن حتى أكثر الأحلام بُعداً عن التوقّع هو كناية تُخفي رغبة أو نقيضها: خوفاً. المدن مثل الأحلام، مصنوعة من رغبات ومخاوف، فحتى لو كان خيطُ حديثها سرّاً، فإن قواعدها لا معقولة، منظوراتها مضلّلة، وكلّ شيء يُخفي شيئاً آخر».

«لا مخاوف لديّ ولا رغبات»، أعلن الخان، «وأحلامي إمّا يؤلّفها عقلي وإمّا المصادفة».

«المدن أيضا تعتقد أنها من عَمَل العقل أوالمصادفة، ولكن لا الأول يكفي لتثبيت جدرانها ولا الثاني. أنت مبتهج، ليس بسبع أو سبعين عجوبة من أعاجيب مدينة من المدن، بل بالجواب الذي تردّ به على سؤالك».

«أو بالسؤال الذي تسألك إياه، مكرهةً إياك على أن تجيب، مثلما «طيبة» عبر فم أبي الهول».

مدنٌ ورغبات (5)

من هناك، بعد ستّة أيام وسبع ليال، تصل إلى زبيدة، المدينة البيضاء، المعرّضة للقمر تعريضاً تامّاً، بشوارع ملتفّة على نفسها كما لو في شلّة خيوط. إنهم يحكون عن تأسيسها هذه الحكاية: حلم رجالٌ من أمم متنوّعة حلما متماثلاً. شاهدوا امرأة تعدو ليلاً عبر مدينة مجهولة؛ شوهدت المرأة من الخلف، بشعر طويل، وكانت عارية. حلموا أنهم يلاحقونها. ثم وهم يستديرون وينعطفون فقدوها جميعاً. بعد الحلم انطلقوا باحثين عن تلك المدينة؛ لم يجدوها أبداً، ولكنهم وجدوا واحدة أخرى؛ لقد قرّروا بناء مدينة تشبه تلك التي في الحلم. وفي تخطيطهم للشوارع تتبّع كلّ واحد منهم مسار ملاحقته؛ وفي البقعة التي فقدوا فيها آثار الهاربة، نظّموا الفضاءات والجدران بشكل يختلف عمّا كانت عليه في الحلم، بحيث أنها لن تتمكّن من الهرب مرّة أخرى.

هذه كانت مدينة زبيدة، حيث استوطنوا، منتظرين أن يتكرّر ذلك المشهد ذات ليلة. ولكن لا أحد منهم، سواء في يقظته أو منامه، رأى المرأة مرّة ثانية أبداً. شوارعُ المدينة كانت شوارعَ يسعون فيها إلى العمل كلّ يوم، من دون أي صلة بعد الآن بالمطاردة المحلوم بها. تلك التي، في ما يخصّ هذه المسألة، نُسيت منذ زمنٍ طويل.

وصل رجالٌ جددٌ من أراضٍ أخرى، ولكونهم حلموا حلماً مثل أحلامهم، وفي مدينة زبيدة، تعرّفوا على شيء من شوارع الحلم، وغيّروا مواقع الممرّات المقنطرة والسلالم لتشبه شبهاً أشدّ طريق المرأة الملاحقة، بحيث لا يظلّ هناك، عند البقعة التي تلاشت فيها، سبيلٌ للإفلات.

أوّل الواصلين لا يمكنه أن يفهم ما الذي ينتظره في مدينة هايبيشة، لأن التغيُّر لا يتعلّق بالكلمات بل بالأشياء. دخلتُ هايبيشة ذات صباح، وقد انعكست حديقة ماغانوليا في بحيرات شاطئ ضحلة زرقاء، وسرتُ بين سياجاتٍ من الأشجار واثقاً من أنني سأكتشف سيّدات شابات وجميلات يأخذن حمّاماً؛ ولكن في قاع المياه كانت سرطانات بَحْرية تعضّ عيون المنتحرات، حول اعناقهنّ رُبطت أحجار، وشعورهنّ خضّرتها طحالب بحرية.

شعرتُ أنني خُدعت، وقرّرتُ طلب عدالة السلطان. تسلّقتُ درجات القصر المرمرية السماقية، القصر ذي القباب الأعلى بين القباب، عبرتُ ستّة أفنية مقرمدة ذات نوافير. كانت القاعة الوسطى تمنع الدخول إليها حواجزُ شبكيّة حديدية؛ كان المحكوم عليهم يُرفعون كتلاً بآزلتية من مقلع مفتوح تحت الأرض، وسلاسل سوداء تُثقل أقدامهم.

ليس بإمكاني إلّا سؤال الفلاسفة. دخلت المكتبة الكبرى، وضعتُ بين رفوف متداعية تحت ثقل مجلّدات من أوراق جلدية، تتبّعت النظام الأبجدي لحروف أبجدية متلاشية، صاعداً هابطاً قاعاتٍ وسلالمَ وجسوراً. وفي قاعة مُطالعة البرديات، أكثر القاعات بعداً، لاحظ لي وسط سحابة دخان عينا مراهق زائغتان، متمدّد على حصير وشفتاه مطبقتان على غليون أفيون.

«أين الحكيم؟».

أشار المدخّن إلى خارج النافذة. كانت إشارته إلى حديقة فيها ألعاب أطفال: لعبة قنان خشبية، أرجوحة، خذروف. وكان الفيلسوف جالساً على المرجة الخضراء. قال: «العلامات تشكّل لغة، ولكنّها ليست اللغة التي تعتقد أنك تعرفها».

أدركتُ أن عليّ تحرير نفسي من الصُوَر التي دلّتني في الماضي على الأشياء التي سعيتُ إليها؛ عندئذٍ فقط سأنجح في فهم لغة هايبيشة.

(ترجمة: محمد الأسعد)

الأمر مع المدن هو ذاته مع الأحلام: كناية عن رغبة أو خوف

مصنوعات من الخزف الصيني تشبه ثمارا متدلّية من أغصان

احتذب هؤلاء الناس إلى زبيدة، هذه المدينة القبيحة، هذا الشرك.

مدنٌ وعلامات (4)

من بين كلّ التغيرات التي تطرأ على اللغة والتي يجب على مسافرٍ في أراضٍ نائية مواجهتها، لا يعادل واحدٌ منها ذاك الذي

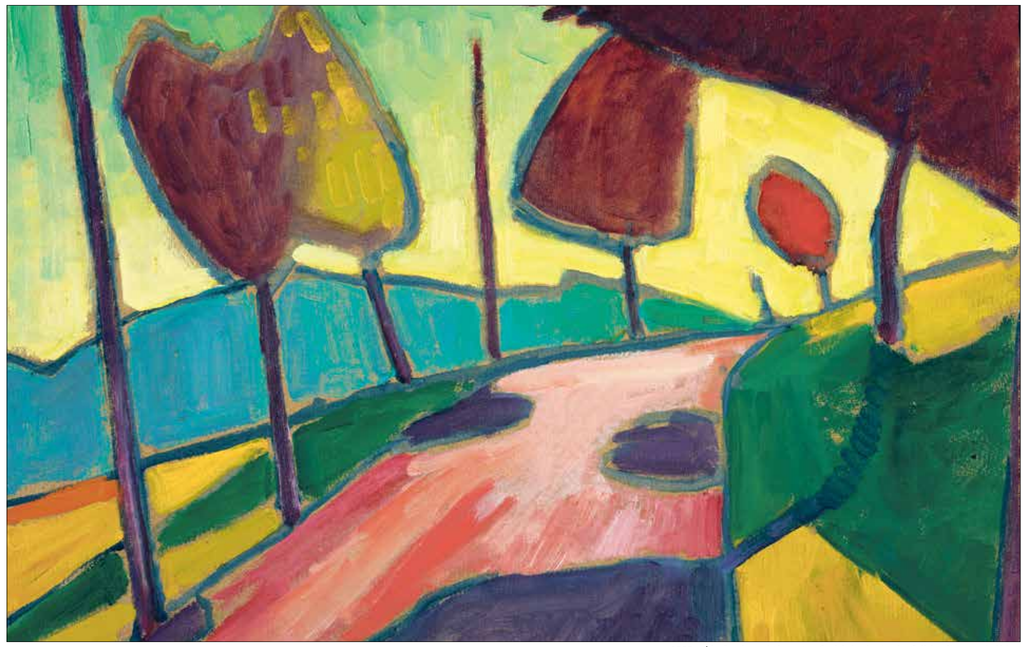

«منظر في مورناو» لـ ألكساي فون جاولينسكي (روسيا). زيت على قماش. 1909

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

نسوةٌ قبالة القصر

لا يمكن أن تُسمّى أرمالُ مدينةٌ مهجورة، سواء هُجرت قبل أن تُسكن أو بعد ذلك. إذا رفعتَ عينيك في أيّة ساعة ونظرتَ بين الأنابيب، من المحتمل أن تلمح امرأة شابّة أو عددا كبيرا من النسوة الشابّات، نحيلات، مائلات الى القصر، يتنعّمن في أحواض الاستحمام، أو يحنين ظهورهنّ تحت مرشّات الاستحمام المعلّقة في الفراغ؛ يغسلن أو ينشّفن أو يعطّرن أنفسهنّ، أو يمشطن شعورهنّ الطويلة في مرآة. وفي الشمس تلتمع خيوط الماء.

قراءة

بيروت من تحت كاريكا تورات المدينة

تجوال في عوالم النخبة وادّعاءاتها

لا يوفّر فوزي ذبيان، في روايته الاخيرة، سخرية لوصف المثقفين، دافعاً قارئه حدّ القهقهة. لكنّنا لا نعرف إن كانت تلك قهقهة الضحك ام القهر

عباس بيضون

«بيروت من تحت»، الرواية الأخيرة لفوزي ذبيان، ليست روايته الوحيدة التي تحمل في عنوانها اسم العاصمة اللبنانية. «أورويل في الضاحية الجنوبية» (2017) ترد أيضاً إلى بيروت. «بيروت من تحت» (2021) هي الأخرى تعود إلى جزء من بيروت، ما ندعوه رأس بيروت، وبخاصة الحمرا فيه.

بيروت هذه ليست كل بيروت؛ إنها جانب منها تحوّل، مع الوقت، إلى ملاذ للمثقفين والكتاب والصحافيين والفنانين. يمكننا لذلك أن نفهم أن «بيروت من تحت» ليست، كما يخطر بأوّل وهلة، موطن حضيض اجتماعي، وليست موطن الأكثر فقراً، أو المشتغلين بمهن أقلّ احتراماً ومشروعية. إنها، على العكس، تضمّ النخبة الثقافية والسياسية، والرواية تدور تقريباً حول هذه النخبة. إنها موئل الشعراء بوجه خاص. إذ نُمضي القراءة ونحن ننتقل من أمسية إلى أمسية شعرية.

وعلى غرار أسلوب الرواية وطريقتها الساخرة، بل المضحكة، تنال هذه الأمسيات نصيبها من التهكّم الذي يصل حدّ التهريج. ولمّا كان الشعراء وأشعارهم وأماسيهم هدفاً دائماً لسخرية الرواية، أو للرواية المؤلّفة من تيّار موصول من التهكّم والإضحاك، فإن اختيارهم، على وجه الخصوص، لهذه الغاية، يثير تساؤلاً، إذ لا نعرف إذا كان ما يستفزّ ذبيان هي كثرتهم أو حماسهم أو شعرهم نفسه، رغم مواضع قليلة فيها تقديرٌ للشعر، كتلك الاستعادة لقول لفالتر بنيامين، إلّا أن الشعراء، وأولهم صاحب التسمية الفكهة «شاعر الخشة»، يبقون على طول الرواية تحت وابلها الساخر.

إذا عدنا إلى عنوان الرواية فإننا نفهم أن بيروت المقصودة هنا هي بيروت الحمرا، وهي بيروت النخبة المثقفة. أما التحت البيروتي، فهو هنا تماماً هذا الذي يصدر عن النخبة، إنّه نتاجاتها الأدبية، الشعرية بخاصّة، والفكرية ودعاويها السياسية ومصطلحاتها وأركانها ـ كلّ هذا سخفٌ وتحذلق وادّعاء وبلاهة، بحسب الرواية؛ إنّه مجرّد مزاعم وأكاذيب وتظاهر و«تفنيص». سيكون هذا الادّعاء والكذب والحذلقة التحتَ البيروتي. ليس التحت البيروتي، إذاً، سوى افتضاح الثقافة وهزالها وتزويرها. إننا، هكذا، في «تحت النخبة».

صحيحٌ أننا نصادف في الرواية شحّاذين وفقراء وغانيات، لكنّ هذا ليس تحت الرواية. «بيروت من تحت» هي بيروت الشعر المزعوم والدعاوى الزائفة والسياسات المكذوبة. «بيروت من تحت» هي المدينة التي تصنع من بوّاب شاعراً، كما زوّد رئيس المجلس الثقافيّ العلماني البوّاب السوريّ بقصيدة كتبها له الروائي المشهور، بحسب تقديمه لنفسه في الرواية، وغدا البوّاب بعدها مشهوراً كشاعر، بل اصطُنعت له حكاية اغتيال. هذه «بيروت من تحت»، إنها هذه المنظومة من التزوير والكذب والادّعاء، إنها النخبة الموهومة، لكن النخبة التي تحمل ادّعاءاتها وأشعارها وأدبها من مكان إلى مكان، ومن حفلة إلى حفلة، في نوع من الرقص الجنوني والهراء الموصول. روايةُ فوزي ذبيان هي، بقرابة الأربعمائة صفحة التي تحويها، هذه الفضيحة الموصولة. قد يُفاجئنا أن الراوي «هو الروائي المشهور»، كما يسمّي دائماً نفسه في تهكّم من الذات، كما يفاجئنا أن نعثر في الرواية على شخص نعرف اسمه حقّاً، أستاذ أنثروبولوجيا جامعي. وقد نتساءل عن الأسماء الحقيقية لآخرين. قد يكون بينهم شاعر الخشة، إذ نفهم من العبارات الأولى في الرواية أنها ليست محايدة، وأن الشارع الموصوف (الحمرا) ليس وحده المسمّى، إذ قد يكون للآخرين المنسوبين إليه وإلى مقهى «الكوستا». الذي لم تعاصر الرواية تبديل اسمه الى «روسا». أسماؤهم الحقيقية.

ينال الشعراء القسم الأكبر من وابل التهكم في الرواية

(شاعر وروائي من لبنان)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

مهرّج في شارع الحمرا ببيروت، خلال مهرجان «مرايا» الترفيهي، 2010 (Getty)

زيارة موقع

مؤسّسة هنداوي مَنسيّات الكتب العربية

فتح خزائن عصر النهضة

يعمل الموقع، منذ سنوات، على إعادة إنتاج وتوفير العديد من الكتب الاساسية في مجالات تشمل الفكر والادب والسيرة والتاريخ وادب الطفل

القاهرة ـ العربي الجديد

تستقبل زائرَ موقع «مؤسّسة هنداوي» رسالةٌ مقتضبة تعطي لمحةً عن طبيعته ورسالته: «مؤسّسة غير هادفة للربح، تهدف إلى نشر المعرفة والثقافة، وغرس حبّ القراءة بين المتحدّثين باللغة العربية». رسالةٌ يأتي قسم «مَن نحن» ليوسّعها، حيث يُطلعنا على رغبة المؤسّسة، عبر موقعها (www.hindawi.org)، في «إحداث أثر كبير في عالم المعرفة» عربياً، وفي «تكوين أكبر مكتبة عربية تضم أهم كتب التراث العربي الحديث بعد إعادة إنتاجها؛ حفاظاً عليها من الاندثار».

تعريفٌ لا يبدو مفارقاً لحقيقة الموقع، خصوصاً لدى الزوّار الذين يتابعونه منذ سنوات. فالموقع ذو الصفحة الرئيسية البسيطة، المتقشّفة لكن السلسة بما يتيح سهولةَ تصفّحه، والوصول إلى محتوياته، يقدّم منذ سنواتٍ مجموعة من الأعمال المهمّة، ولا سيّما في الفكر والأدب والسيرة والتاريخ. بل تكاد تكون «هنداوي» اليوم، واحدةً من الجهات التي توفّر أكبر عدد من الاشتغالات التي تعود إلى فترة النهضة العربية وبداية القرن الماضي، كتابة منها أو عنها، إن كان في الفلسفة، أو النقد، أو اللغة، أو حتى النصوص السردية والشعرية.

وكما هو واردٌ في تعريفه، فإن الموقع لا يسعى، فحسب، إلى جلب نُسَخ للأعمال التي ينشرها من أماكن أخرى، بل يعمل على إعادة إنتاجها، وصياغتها، وتنقيحها أو تحقيقها إن لزم، مع طرح إخراج بصريّ جديد لها، رغم بساطته في أغلب الأحوال.

تشتمل الصفحة الرئيسية على بوّاباتٍ تعلوها وتضمّ تفريعات إلى «الرئيسية»، وأخرى إلى «الكتب»، و«القصائد»، وأسماء المساهمين، إضافةً إلى دعوة للتعاوُن مع المؤسّسة («ترجم معنا»)، وكذلك الصفحة التعريفية («مَن نحن»). وتلي هذه القائمة الأفقية قائمةٌ عمودية، على يمين الموقع،

تسهّل الصفحة الرئيسية معرفة كلّ محتويات الموقع والوصول إليها

تحمل عنوان «موضوعات الكتب»، وتؤشرف للأعمال المنشورة، كلّ تحت زاويته، وبترتيب الفبائي: من إدارة الأعمال (20 كتاباً، حتى لحظة كتابة هذه المقالة)، إلى الأدب (356 كتاباً)، وأدب الرحلة (51 كتاباً)، والاقتصاد (27 كتاباً)... وصولاً إلى الفلسفة (197)، وقصص الأطفال (152)، والنقد الأدبي (129). حقولٌ تضمّ، مجموعة، 2235 كتاباً حتى الآن، وهو رقمٌ يعطي فكرة عن جدّية الموقع، ومشروع المؤسّسة من ورائه، ورغبتها في الاستمرار.

كما يشير الموقع، على صفحته الرئيسية، إلى توفيره عدداً من سلاسل الكتب الخاصّة بالمؤسّسة، ولا سيّما ترجماتها لسلسلة «مقدّمات قصيرة جدّاً» المعروفة، والتي تقوم عليها، منذ عام 1995، منشورات «جامعة أوكسفورد». إضافةً إلى سلسلتين، هما «الأدب العالمي للناشئين» و«موسوعة مصر القديمة».

هكذا، يقدّم الموقع نفسه كفضاء سهل، مكشوف وبعيد عن التعقيد والطبقات المتراكمة والمهملة من الصفحات، بما يتيح للقرّاء معرفة كلّ محتوياته، والبنود المصنّفة تحتها، والوصول إليها بقليل من الكبسات على الروابط. كما يبدو الموقع وفياً للرغبة التي يُعلنها في تعريفه، أي عدم الاكتفاء بحقل واحد، أو بمجال نخبوي، بل الانفتاح على شتّى مجالات المعرفة، الأدبية والفكرية والعلمية، مع توفير مساحة مهمّة للكتب العَمَلية، والعلمية، ولكتب الأطفال والناشئة.

خان الخليلي بالقاهرة في صورة من عام 1910 مُعاد تلوينها (Getty)

فعاليات

تحت شعار **الشعر في مواجهة التطبيع**، تنطلق الخميس، 25 تشرين الثاني/ نوفمبر الجاري، فعاليات الدورة 41 من **مهرجان توزر الدولي للشعر** في المدينة الواقعة جنوب غرب تونس، و تستمرّ لثلاثة أيّام. تتضمّن التظاهُرة قراءات شعرية ومحاضرات وورش في الكتابة الإبداعية ومعرض كتب ومعرض تشكيلياً.

في **غاليري بيكاسو** بالقاهرة، يتواصل حتى الثلاثين من الشهر الجاري، معرض **محطّات الغربة** للفنّانة العراقية **عفيفة لعيبي** (1935). الاغتراب هو ثيمة المعرض الذي يضمّ قرابة ثلاثين لوحة يطغى عليها الأخضر والأصفر بتدرُّجاتهما، و تُمثّل مراحل مختلفة من تجربة التشكيلية العراقية. غادرت لعيبي العراق عام 1974، وعاشت في أكثر من بلد، قبل أن تستقرّ في هولندا.

تستضيف **المكتبة الرئيسية للمطالعة** في الجزائر العاصمة، عند الواحدة والنصف من بعد ظهر السبت المقبل، ندوةً بعنوان **الكتابة الشذرية**. تتناول الندوة أعمال ثلاثة كتّاب جزائريّين: **الخيّر شوّار** (الصورة)، و**عبد الحميد إيزا**، و**عبد الكريم ينينة**، ويتحدّث فيها محمد كاديك وناصر باكرية وعاشور فنّي.

يُقدّم المغنّي **اشرف الشولي**، عند التاسعة من مساء السبت، 27 من الشهر الجاري، حفلاً في **مترو المدينة** ببيروت، يؤدّي فيه أغانيَ للفنّان المصري **محمد منير**، بمشاركة كلّ من أيمن سليمان (عود)، وضياء حمزة (كيبورد وهرمونيكا)، وعلي صبّاح (غيتار)، وزاهر حمادة (باص)، ومازن ملاعب وأحمد الخطيب (إيقاع).